

في بين صافتا العامة : ١

البكالوريا اللبنانية والتعليم المصري

بقلم فؤاد افرايم البستاني

استاذ الآداب العربية في كلية القديس يوسف

٢

لنا ، في «مشرق» كانون الثاني ، كلام عن اسباب انشاء البكالوريا اللبنانية ، وعما رمت اليه حكومتنا من الغايات الحميدة في خلق مقياس رسمي تعرض عليه معارف من يتخرجون في المدارس المختلفة ، فاذا وجدت مطابقة لما يتطلبه البرنامج الموحد ، أقرتها اللجنة الفاحصة واثالت صاحبها الشهادة الرسمية باتمام تثقيفه الثنوية . وقد اطلعنا مؤخراً على تقارير اللجان الفاحصة في الدورة الاولى من امتحانات البكالوريا الجديدة منشورة في «ثروة المعارف الصومية» للمفوضية العليا (Bulletin de l'Enseignement) ، فراينا ان ندرس ما تدل عليه هذه التقارير ، ونستخلص ، من نتائج الامتحان ، اعتماد المدارس لتطبيق البرنامج الجديد ، واستعداد الطلاب لاساغته ، قبل ان نخوض في نقد اقامه قسماً قسماً .

نتائج الازنهاده الاول

أنشئت البكالوريا اللبنانية بمرسوم صدر من رئيس الجمهورية بتاريخ ٢٨ كانون الثاني ١٩٢٩ . على انه لم يُنشر بالطبع الا في شهر اذار ، فلم يتمكن ارباب المدارس من الوقوف عليه وتطبيقه الا وقد مر من السنة المدرسية اكثر من خمسة اشهر ، ولم يبقَ بينهم وبين النقص ، الذي عيّن له يوم ١٢ حزيران ، سوى ما يقل عن الثلاثة اشهر . وان ساغ لنا ان نبدي ملاحظة لوزارة المعارف ،

بهذه المناسبة ، فاننا نأخذ عليها اسراعها في تعيين الدورة الاولى لامتحان البكالوريا اللبنانية ، ولم يمر على نشر برنامجها الوقت الكافي لكي يدرسه مدرسو المعاهد ، ويمدوا طلابهم لتفهم موادها بتؤدة وترتيب .
يبد ان هذا الاسراع في تطبيق البرنامج ، ومن ثم عدم اعتماد الطلاب ، لم يشبط مهم هؤلاء عن اقتحام الامتحانات . فلم يظهر المرسوم المصين تاريخ الامتحان حتى تهاوتوا بالمشرات على ادارة المعارف يقيدون اسماءهم ، ويلتسون الشروح اللازمة عن اجراء الفحص ، فلم يُقبل دقة القيد الا وقد ضم ثلاثة وخمسين اسماً من طلاب الشهادة الجديدة .

اما نتيجة الفحص فكانت ابعد من ان تكافي نشاط هؤلاء الطلاب اذ لم ينجح على ٥١ طالباً تقدموا للامتحان الا اربعة عشر^١ منهم ١٣ على ٣٦ في الفرع الادبي او ما يوازي ٣٧ بالمئة ، و١ على ١٦ في الفرع العلمي او ما يوازي ٦ بالمئة ، بينما كانت نتائج امتحانات البكالوريا الفرنسية تفوق ذلك بكثير . فنجح في الفرع الادبي B من البرنامج القديم ١٥ على ٢٥ او ٦٠ بالمئة وفي الفرع العلمي D ٢ على ٦ او ٣٣ بالمئة . ونجح في الفلسفة من البرنامج ذاته ٢٢ على ٣٩ او ٥٦ بالمئة وفي الرياضيات ١٤ على ٢٢ او ٦٣ بالمئة . اما طلاب البرنامج الفرنسي الجديد المطلق لأول مرة ، فنجح منهم في فرع A' ١١ على ٢٥ او ٥٥ بالمئة ، وفي فرع B ٣٧ على ٩١ او ٤١ بالمئة^٢

أقرب في جميع الفروع ان معدل الناجحين في البكالوريا الفرنسية يفوق بكثير معدل الناجحين في البكالوريا اللبنانية . فلم هذا التفاوت ؟ قد يقول البعض ان النجاح الذي حازه ارباب البرنامج الفرنسي القديم ناتج عن سهولة الفحص وشققة الفاحصين ، اذ كانت هذه الدورة الاخيرة من نوعها بعد ان حوّر البرنامج واوجدت الاقسام الجديدة ، A' و B للبكالوريا الفرنسية . قد

(١) كان من الناجحين ٥ من كلية القديس يوسف ، و٣ من مدرسة الحكمة المارونية ، واثنان من المدرسة اللبنانية ، واثنان من مدرسة الاخوة المريميين في جونية ، واثنان تقديماً من تلقاء قسيهما .

(٢) راجع تفصيل ذلك في 6 و 5 و 11، Bulletin de l'Enseignement.

يكون شيء من ذلك ا على ان الفرق يظل كبيراً بين نتائج الشهادة اللبنانية ونتائج الشهادة الفرنسية ذات البرنامج الجديد .

ولا يمكن نسبتها الى ان البرنامج الفرنسي الجديد احكم وضماً وانسب لمقول الطلاب من برنامجنا ، لان هذا الرغم محدود بالمقابلة بين البرنامجين وبالاستناد الى شهادة ارباب التعلم من الفرنسيين انفسهم الذين قاموا على برنامجهم الجديد وبينوا اخطائه في مقالات عدة ، كما سبق عند تقدينا لبرنامجنا . ثم لا يمكننا نسبة الفشل الى قسوة اللجنة الفاحصة ، وتحملها على الطلاب المساكين . فهذه القسوة البرية وهذا التحامل العدائي لا وجود لها الا في مخيلة الطلاب الراسبين يتمزون بهما عن سقوطهم ، او في مخيلة بعض الناجحين يتخلصون منها اسباباً جديدة لغرضهم وتبجحهم بالنجاح على الرغم من صعوبة الفحص ، وظلم الناحص . والا فيشهد الله ان اللجنة كانت تفتش برجا . كبير عن مسابقة تستحق لصاحبها علامة ١٠٠ فتضها فرحة بان توفّر لهذا الشاب ولأهله ومعارفه اسباب الفرح والسرور . الا انها لم تكن لتوفق في غالب الاحيان . وما ذاك - وهذا هو السبب الحقيقي للفشل في الامتحان الاول - الا لعدم استعداد الطلاب لتقديم الامتحان الثوري ، ولاتصراف اكثرهم الى الاخذ برصف القواب الفارقة عن التفكير في الموضوع المطروح عليهم . وقد اشرنا الى ذلك في التقرير الذي رفضناه الى وزارة المعارف ، على اثر تصليح المسابقات الخطية في آداب اللغة العربية ، وهذا هو بنصه :

الفرع الادبي

القي على الطلاب ثلاثة موضوعات في آداب اللغة العربية هذا نصها :

- ١ - كيف نشأت الاسواق في الجاهلية ؟
- ٢ - ما هي زوايا الشر الجاهلي ؟
- ٣ - اى اثر احداثته الحضارة البانية في اللغة من حيث اغراضها ومعانيها والنساقها واساليبها ؟ اوضح ذلك بالامثلة .

فكان ان الموضوع الثاني ظهر اسهل من الباقيين فنال الافضية واختاره ثلثا المتسابقين فوضوا امامنا ٢٤ مسابقة في الشر الجاهلي . على ان اكثر هذه

المسابقات كانت خارجة عن الموضوع . فبدلاً من ان يحدد الطلاب تقسيم موضوعهم بدقة ، ويسيروا عليه بترتيب ، ممددين صفات الشعر الجاهلي صفة صفة ، رأيتهم يُسهون دون فائدة في ماهية الشعر واصله ، ويملأون الصفحات الكبيرة باعادة ما علق بذكريتهم من الاساطير والحداث حول نشأة الشعر العربي ، وتاريخ العرب ، وجغرافية جزيرتهم ايضاً . وكلها امور لا دخل لها في الموضوع المطلوب . مما دل على فساد تنشئتهم الادبية وعلى انهالك اساتذتهم بتقوية ذاكرة التلاميذ دون الاكتراف لتوسيع قلوبهم ، او الاهتمام بتدريسيهم على التأليف المنسق المعقول . بيد ان منهم خمسة او ستة ادرکوا الطريق المستقيم في التأليف ، فجمعوا اطراف موضوعهم بتقسيم وافد وجالوا فيه عارفين فنالوا علامات جيدة مثل ١٥ و ١٤ و ١٠ على ٢٠ ، بينما كان زملائهم من الذين كتبوا بلبلة اصح واسلوب امتن لا يتألون الستة او السبعة على عشرين الا بالجهد ، لخروجهم عن الموضوع .

واختار سبعة طلاب الموضوع الاول ففهمه ثلاثة منهم فهماً كافياً . ولكن لم يكن في مسابقتهم ما يستحق ذكراً خاصاً .

اما الخمسة الباقون فاختراروا الموضوع الثالث . وهو يُقسم الى قسمين : الاول تاريخي ، والثاني ادبي يوضح بالامثلة ما كان يجب ان يُذكر من الاحكام في القسم التاريخي . فكان ان اربعة على خمسة لم يهتموا بهذا القسم الثاني . الخلاصة انه بين ٣٦ مابقتة في الفرع الادبي ، رأت اللجنة الفاحصة ١٠ مسابقات فقط تستحق العلامة المتوسطة او علامة اعلى .

فعلی الاساتذة ان يهتموا بفهم روح التعليم الثنوي الذي ينصرف الى تغذية عقل الطالب وتدريبه على التأليف الصحيح ، قبل انصرافه الى حشو ذاكرته بانشكات الادبية وتعبده رصف القوالب الفارغة وصقل المبارات المرتانة .

الفرع العالمي

اما في الفرع العالمي فكانت النتيجة شراً منها في الفرع الادبي . وهذه

الموضوعات الثلاثة التي طرحت على الطلاب :

١ - من م الشراء ثلاثة المضمون في الصر الاموي ؟ قابل بينهم وقل من فضل ؟ ولماذا ؟

٢ - صف الحركة للتكرية في صر المأمون -

٣ - ماذا تعرف عن دور اللبانيين في خصة الآداب العربية في القرن التاسع عشر ؟

ولما كان اكثرهم من اللبانيين رأوا من الطبيعي ان يختاروا الموضوع الثالث . على ان الصفة اللبنانية وحدها لا تكفي للنجاح ، ولهذا لم تر بين المسابقات التسع في الموضوع الا مسابقة واحدة تستحق علامة حسنة . وهنا ايضاً ينبغي لنا ان نعيد ما لاحظناه من انصراف الطلاب اجمالاً الى وصف الجبل الفارغة دون الاهتمام بالمعاني .

اما السبعة الباقون فاختاروا الموضوع الاول ، وهو يظهر اسهل الثلاثة لانه واضح التسم . ولكن لم ينجح فيه الا طالبان اجتهدا في التخلص من النقص العام الذي لاحظناه مرات في اكثر المسابقات .

واما الموضوع الثاني فكان اصعب من ان يخوض فيه طلاب لم يستفدوا الاستعداد الكافي لمثل هذه الامتحانات^(١) .

ويستتج الحكم نفيه من تقرير السيد پاريزو ، مقرر لجنة اصلاح المسابقات في آداب اللغة الفرنسية . فانه اشار الى اتكال الطلاب على ذاكرتهم وما وعته من التواريخ واسماء الكتب والاشخاص دون الاهتمام باعمال عقلمهم في درس الموضوع وتحديد اقسامه^(٢) . وكلها امور تنافي مبادئ التعليم الثوري كما قدمنا .

وكذلك كان رأي الاخ مارك ، مقرر لجنة اصلاح مسابقات النص العربي ، او النقد الادبي^(٣) ، فقال :

« والذي برهن على ضعفهم (الطلاب) وعدم فهمهم ما يقترح عليهم هو

(١) راجع النثرة المذكورة ... Loc. cit. p. 107

(٢) .. Loc. cit. p. 97

(٣) قد نود فنورد درساً خاصاً في قواعد النقد الادبي وكيف يجب على الطلاب ان يسيروا كي يتمكنوا من فهم النظم الادبية وليس ما فيها من الجبال اولاً ، ومن اطنان ما فهمه وما لموه ثانياً .

انه قد طُلب منهم ان يشرحوا التلمعة التي أُعطيت لهم شرحاً يتناولها من الوجهتين النحوية والبيانية . فكان ان اكتفى العدد الاكبر منهم باعراب مفرداتها اعراباً مخرباً ، وبحليل بعض عباراتها تحليلاً بيانياً . وانشأ غيرهم مقالات في النحو والبيان او في سيرة احد رجال العرب المذكور في التلمعة ، مع انه لم يطلب منهم شيء من ذلك .^{١١}

ولم تكن تقارير امتحانات الرياضيات والفيزياء والكيمياء لتخفف مرارة هذا التقدم ، بل بالعكس فقد ذكر المقررون ما لاحظوه من انحطاط مستوى الطلاب العلمي سواء كان ذلك في المقررات او في التثنية الرياضية والطبيعية . وقد ظهر تأثير ذلك في النتيجة النهائية اذ لم ينجح الا واحد على ١٦ في الفرع العلمي .

فدى من ثم ان المسؤولية في هذا النشل تكاد تنحصر اولا بالوزارة لاسراعها في ابتداء الامتحانات قبل ان تتروك لارباب المعاهد المدّة الكافية لتطبيق البرنامج الجديد ؛ وثانياً بالمعلمين الذين لم يعودوا طلابهم طرق التفكير الصحيحة ، فجنحوا بهم عن اساليب التثنية الثنوية الحقة ؛ وثالثاً بالطلاب انفسهم الذين تهاقوا على تقديم الامتحان ولا عدّة لاكثرهم الا القورور بسهولة نيل البكالوريا لأنها جديدة ، والامل برحمة الفاحصين :

اما نصيب البرنامج من كل ذلك فنسدرسه في مقال آخر .

